

تقرير

خليفة حرب

Khalilharb66@gmail.com

شتاء الصراع الأوكراني يحكّ على العالم كرة ثلج الحرب تتدحرج روسيا وأوروبا

حل الشتاء مع دخول الحرب الأوكرانية تحولات جعلت العالم يحبس أنفاسه، واقفا على حافة الهاوية التي يخشى من تحولها الى هاوية نووية، او صقيع قاتل، بعدما مضت روسيا قدما بتحدي الغرب وضم مناطق اوكرانية الى جغرافيتها، متجاهلة ان خصومها ماضون ايضا في التكتل ضدها، عاقدين العزم على اغراقها اكثر



من الاشتباكات في الحرب الروسية الأوكرانية.

لن يكون فصل شتاء عاديا بالنسبة الى القارة الأوروبية، بعدما ظن كثيرون ان الحرب التي بدأت في شباط الماضي، لن تكون طويلة، وان رتابة حياتهم في دول القارة وانتظامها سيظلان على حالهما، صيفا وشتاء. لكن ذلك لم يحصل، واصبح كثيرون يتربصون بتوجس كيف ستكون ايامهم الالية في بلاد تتدنى درجات الحرارة فيها خلال الشتاء الى ما دون الصفر، وتعتمد منازلهم في غالبيتها على امدادات الغاز التي كانت تنساب من الحقول الروسية بشكل سلس وطبيعي، الى ان انفجرت الازمة الأوكرانية حربا بين روسيا وبين تكتل غربي واسع.

ليس حدثا عابرا ان تتزامن مناورات عسكرية نووية بين الخصمين، الروسي والغربي. وليست لعبة بسيطة ان تتزامن تدريبات نووية سنوية اجرتها موسكو تسمى "غروم" في نهاية شهر تشرين الاول، مع مناورات نووية غربية يعتبر حلف شمال الاطلسي (الناتو) وقتها ملائما له تحت اسم "ستيدفاست نون" في 17 تشرين الاول وصولا الى 30 منه، وذلك بمشاركة 60 طائرة، بينها قاذفات "بي - 52" اتت خصيصا من قواعدها في الولايات المتحدة وقامت بمهام فوق بلجيكا وبحر الشمال وبريطانيا للتدريب على استخدام القنابل النووية الاميركية الموجودة في أوروبا، لكن من دون استخدام اي قنابل حية، وهي نشاط تدريبي متكرر وليس مرتبطا بأي حدث من الاحداث

العالمية، بحسب ما ذكر بيان لحلف الناتو. كأنها على البشرية ان تحبس أنفاسها وهي تراقب ما يجري في عالم الشمال، وما يمكن ان يحدث بعدما ذهبت الامور نحو ما قد لا تحمد عقباه، من خلال تنظيم استفتاءات في مناطق اوكرانية اختارت، بحسب النتائج المعلنة، الانضمام الى روسيا. ثم قرار حكومة كييف، ردا على ذلك، التقدم بطلب معجل للانضمام الى حلف الناتو، وهي بالضبط الخطوة التي ترفضها موسكو، بل وتحذر منها منذ عقدين من الزمن. وتؤكد مخاوف الروس منذ ان اعلن الناتو في قمة بوخارست العام 2008، ان اوكرانيا ستصبح عضوا في الحلف

متى شاءت ومتى صارت متوافقة مع معايير الانضمام. طبعا، صار معلوما ان الروس يؤكدون انهم تلقوا تعهدات غربية منذ مرحلة انهيار الاتحاد السوفياتي، بأن الحلف لن يتوسع شرقا في اتجاه الحدود الروسية، لكن هذه التعهدات ذهبت ادراج الرياح، وصار الناتو على تماس مع اراضي روسيا، بينما كانت الازمات الأوكرانية تغلي منذ سنوات على اقدار المصالح والتظاهرات الملونة والانقلابات الانتخابية وتطيح في احدى مراحلها برئيس موال لموسكو هو فيكتور يانوكوفيتش الذي عارض ادخال بلاده في الاتحاد الاوروبي وحلف الناتو.

”

الناتو على تماس
مع اراضي روسيا

“

هذا من الماضي ربما، لكن الصراع على اوكرانيا من اجل ابعادها عن الدب الروسي او ضمها الى احضان الغرب ظل مستمرا، بل تأججت نيرانه وصولا الى استفتاء شبه جزيرة القرم وعلان استقلالها، ثم ضمها الى روسيا في العام 2014. لم يكن الاجتياح الروسي قبل نحو 9 اشهر، عملا عسكريا ميسرا



بوتين يوقع مراسيم ضم المناطق الأوكرانية الرابع الى روسيا.

نوفوروسيا

يعتقد مراقبون ان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يسعى في نهاية المطاف الى ضم كل مناطق ما يسمى نوفوروسيا، وهي التسمية التاريخية المستخدمة للحدوث عن المناطق التي تضم اغلبية ناطقة بالروسية في مناطق شرق اوكرانيا، والتي تشمل دنبروبيتروفسك وشاركييف وميكولايف واوديسا.

من اوكرانيا

تبلغ مساحة اوكرانيا 603,700 كيلومتر مربع. ويبلغ طول حدود اوكرانيا مع روسيا 1576 كيلومترا. لا تبعد العاصمة الروسية موسكو عن الحدود الأوكرانية سوى 480 كيلومترا. اوكرانيا متخوفة من احتمال انضمام بيلاروسيا الى الحرب ضدها، ويبلغ طول حدودها معها 891 كيلومترا. يعتقد ان الجيش الأوكراني هو الاكبر عددا في أوروبا. ويبلغ عدد سكانها نحو 44 مليون نسمة، وهي تواجه تراجعاً في عدد سكانها بمعدل 200 الف نسمة سنويا، لأن نسبة الوفيات اعلى من نسب الولادات.

بحسب ما روج له اعلاميا، اما بدوافع الحماسة للتحرك الروسي، او بدوافع تشجيع الانغماس الروسي في المستنقع الأوكراني، املا ربما في تكرار كارثة استنزاف الكرملين في المستنقع الافخاني قبل 40 سنة.

المهم ان القوات الأوكرانية التي تتدفق عليها الاف الاطنان من الاسلحة الغربية، وبخاصة تلك المدمرة للدبابات والمدفعات الروسية، نجحت خلال ايام معدودة من ايلول الماضي في استرجاع اكثر من 6 الاف كيلومتر مربع من ايدي القوات الروسية، في ظل ما يقول خبراء ومراقبون انها سلسلة من الاخطاء الروسية، التي من بينها الاكتفاء منذ بداية الحرب بنشر نحو 150 الف جندي استخدمتهم موسكو على جبهات واسعة وممتدة على طول مئات الكيلومترات، مما جعل قوافلهم وتحركاتهم عرضة للكائن والانكشاف في مساحات واسعة، وبخاصة امام ضربات الصواريخ الموجهة لقوافلهم واطراداتهم، ناهيك باستنزافهم المتواصل منذ اشهر امام جيش اوكراني يستخدم ما يقدر بنحو عشرة اضعاف القوة الروسية الغازية.

المهم ان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين خرج في 21 ايلول معلنا التعبئة العسكرية الجزئية التي يفترض ان تضخ نحو 300 الف عسكري اضافي على خطوط الجبهات الأوكرانية لتعديل مسار الحرب، وهم يمثلون 1% فقط من قدرة التعبئة الروسية التي في امكانها بحسب ما تؤكد وزارة الدفاع، جمع 25 مليون مقاتل في حال كان الاستدعاء للحرب شاملا.

اعاد بوتين صياغة مفهومه للحرب مع اوكرانيا من مصطلح العملية الخاصة المحدودة ضد النازية الجديدة الحاكمة في كييف، الى التعبئة الجزئية الضرورية من اجل ما وصفه بأنه حماية سيادة روسيا وشعبها من

الروسية المشاركة في الحرب في الجنوب الأوكراني، تصل عبره، وتبين أن ترميمه يتطلب نحو 9 أشهر من العمل.

يومان فقط، وانهمرت الصواريخ على العاصمة الأوكرانية كييف، بشكل ذكر الأوكرانيين بالأيام الأولى من الحرب عندما اقترب الجيش الروسي من العاصمة، ولم يدخلها. وكان آخر قصف روسي على كييف وقع في حزيران الماضي. استهدفت كييف بأكثر من 84 صاروخا ضربت العشرات من مواقع البنى التحتية بما فيها الكهرباء والمياه ومواقع حكومية وأمنية، وأجبر آلاف المواطنين، وحتى ممثلو البعثات الأجنبية، على الاحتماء في الملاجئ. لقد كان من الواضح أن بوتين يريد أن يذكر الرئيس الأوكراني فلودومير زيلينسكي، وحلفاءه في الغرب، بأن المساس بأراضي روسيا يستوجب عقابا صارما. لم يقتصر الهجوم على كييف وحدها، بل شمل مناطق أخرى مثل خميلنيتسكي ولفيف ودينبرو وفينيتسيا وزابوريجيا وسومي وخاركيف وجيتومير.

في خطوة يعتبر كثيرون أنها ستساهم أيضا في تاجيح الحرب، كان زيلينسكي أعلن في 30 أيلول الماضي، أنه سيطلب الانضمام إلى حلف الناتو بموجب إجراءات العضوية المعجلة، وأنه لن تكون هناك محادثات سلام مع روسيا طالما ظل بوتين رئيسا.

لكن الاعتقاد السائد حتى الآن هو أن العضوية الكاملة لن تتحقق، أولا لأنها تتطلب إجماع كل أعضاء الحلف الـ30 عليها وهو غير متاح حتى الآن، وثانيا لأن العضوية تعني صفحة جديدة أكثر خطورة ودموية وبردا مع روسيا. وفيما بوتين لا يرى على ما يبدو حسما سريعا للمعركة، فإن زيلينسكي الذي كان يريد التفاوض في بداية الحرب، أصبح الآن متمنعا ويختال متباهيا بصورته العالمية كـ"بطل".



جندي اوكراني يحمل سلاحا مضادا للدبابات.

300 الف جندي روسي لتعديك مسار الحرب

بحسب التقديرات الروسية، فإن عملية الضم للمناطق الأربع، هي مثابة انداز روسي للغرب بأن التعدي عليها سيكون اعتداء على الأراضي الروسية نفسها، مما يستوجب إعلان حرب حقيقية، والدفاع عن سيادتها، بما في ذلك خيار استخدام القدرة النووية.

لم تمض أيام، حتى استهدف جسر القرم في 8 تشرين الأول بتفجير مخطط له من المخابرات الأوكرانية بحسب الاتهام الروسي. وهو بحسب موسكو، اعتداء مباشر على الأراضي الروسية وهو الذي يربط القرم بالبر الروسي، على طول 19 كيلومترا، كان بوتين افتتحه في العام 2018، وله أهمية لوجستية كبيرة في الوقت الحالي لأن الامدادات للقوات

وقرار الضم الروسي. لكن في 12 تشرين الأول، دانت الجمعية العامة للأمم المتحدة الضم الروسي واعتبرته "غير قانوني"، بعد تصويت لأعضائها ضده بأغلبية ساحقة، إذ بينما صوتت لصالح قرار الادانة 143 دولة، فقد عارضته خمس دول (بينها بيلاروسيا، وكوريا الشمالية، ونيكاراغوا، وسوريا)، وامتنعت 35 دولة عن التصويت من بينها الصين والهند وجنوب افريقيا وباكستان رغم الجهود الدبلوماسية التي بذلتها الولايات المتحدة.

تتراكم هذه الانقسامات الدولية، مما ينذر بتحولات كبيرة ليس في علاقات روسيا مع محيطها الجغرافي والعالمين فقط، وإنما أيضا في الاصطفافات السياسية الدولية. يكفي مثلا الإشارة إلى أن قرار تحالف "اوبيك بلاس" الذي يضم دول "اوبيك" ومنتجين من خارجها بينهم روسيا، خلال اجتماع في 5 تشرين الأول، بخفض كبير في الانتاج بمقدار مليوني برميل يوميا اعتبارا من تشرين الثاني الحالي، جعل البيت الأبيض يتهم "اوبيك بلاس" بأنها "منحازة" إلى روسيا.

جاء قرار اعلان التعبئة بعدما طلبت السلطات المتحالفة مع موسكو في أربع مناطق اوكرانية تسيطر عليها القوات الروسية، تنظيم استفتاء لهم حول الانضمام إلى الاتحاد الروسي، وهي مناطق تشكل مساحتها نحو 15% من مساحة اوكرانيا، ويبلغ عدد سكان هذه المناطق ما بين 5 إلى 7 ملايين نسمة، أي نحو 15% من مجموع سكان اوكرانيا. وبعد أن كانت روسيا ضمت القرم منذ سنوات، والبالغة مساحتها 27 ألف كيلومتر مربع، تصبح بذلك مساحة المناطق التي اقتطعتها روسيا من اوكرانيا 135.845 كيلومترا مربعا، من أصل 603.628 كيلومترا مربعا، أي أكثر من 27% من المساحة الإجمالية لاوكرانيا.

وكما كان متوقعا، أيدت نتائج الاستفتاءات في المناطق الأربع بغالبية كاسحة، الانفصال عن اوكرانيا والانضمام إلى روسيا، في 27 أيلول الفائت، وتضم لوغانسك (98%) ودونيتسك (99%) وخيرسون (87%) وزابوروجيا (93%)، ووقع بعدها بوتين مرسوم ضم هذه المناطق إلى الاتحاد الروسي.

من المهم الإشارة إلى أنه في منطقتي دونيتسك ولوغانسك وهما اعلنتا استقلالهما قبل الغزو الروسي، طلب من الناس الاجابة عما إذا كانوا يؤيدون "انضمام جمهوريتهم إلى روسيا". أما في خيرسون وزابوريجيا، المحرومتين والمهملتين من جانب حكومة كييف، وتعاينتان من شح مواردتهما وثرواتهما الطبيعية والفقر والبطالة، فقد طرح على سكانهما السؤال التالي: "هل تؤيد الانفصال عن اوكرانيا، واقامة دولة مستقلة وانضمامها إلى الاتحاد الروسي؟".

بطبيعة الحال، استخدمت روسيا حق النقض "الفيتو" ضد مشروع قرار اميركي في مجلس الامن يدين الاستفتاءات



قصف اوكراني على مواقع روسية.



مقاتلون شيشان يحاربون إلى جانب القوات الروسية في اوكرانيا.

رهان غربي على تكرار المستنقع الافغاني

الحرب التي يشنها الغرب جماعيا، وحماية سكان منطقة دونباس الأوكرانية الذين لا يريدون الخضوع لـ"العبودية" في اوكرانيا. لكن بوتين اضاف في خطابه المتلفز الكلمة التي كان كثيرون يخشونها، وهي ان الغرب يمارس الابتزاز النووي ضد بلاده التي في المقابل، لديها "اسلحة كثيرة للرد".